

مُساءلة هايدجر للموروث اليوناني

لأجل استشراق مستقبل جديد للفلسفة

بعبارة أمال *

إنّ معظم القضايا المطروحة على الساحة الفكرية العالمية، إلّا ووجدنا الفلاسفة الألمان قد اهتموا بها وتناولوها بالمعالجة بالفلسفة الألمانية فلسفة تدعوا لفتح دروب جديدة من خلال تجديد مهمة الفكر والفلسفة معا ويعتبر "مارتن هايدجر" من بين أهم وأبرز الفلاسفة فقد سعي من خلال مشروعه الفلسفي لتجديد مهمة الفلسفة .

وعليه فإن العودة إلى الموروث وكشف ثغراته هي ميزة أغلب الفلاسفة المعاصرين، ويعيد "مارتن هايدجر" واحد من بين هؤلاء الفلاسفة، فتجربة هايدجر الفلسفية كان هدفها مسائلة التراث الميتافيزيقي حاملا نفسه على نقد كل الأسس التي نبني عليها المشروع الميتافيزيقي وهذا ما يستوقفنا للتساؤل فيما تكمن التجربة الهايدجرية مع الميتافيزيكا ؟ . كيف وعلى ماذا ارتكز النقد الهايدجري للميتافيزيكا ؟

إنّ عودة هايدجر إلى الموروث "الإغريقي" لم يكن الهدف منه أبدا استرجاع الإغريق إنما كان الهدف من وراء هذه العودة هو تجاوز اللحظة الإغريقية و محاولة هايدجر ليست المحاولة الوحيدة من نوعها فمختلف أعمدة الفلسفة من نيتشه، هوسرل، الرومانسية... حاولوا تفكيك أعمدة الميتافيزيكا من خلال أعمالهم الفلسفية وهذا ما يقودنا إلى نتيجة مفادها تخبط الفلسفة في نيران الانحطاط لذلك حاول هؤلاء الفلاسفة إخراج الفلسفة من هذا الضيق الذي شاهده والدعوة لبدء مغاير للبدء الذي جدرته الميتافيزيكا، والمتمعن في الكتابات الهايدجرية يلاحظ أنّ أعماله كلها كانت عبارة عن مسائلة للتراث الإغريقي ، فالحوار مع الإغريق، والحوار مع

الميتافيزيقا ، الحوار مع الموروث، خطوة إلى الوراء كلّها مصطلحات تبرز لنا تجربة هايدجر الفكرية مع "البدء الإغريقي" فما هي مقتضيات هذه التجربة؟، لماذا العودة إلى اليونان بالذات؟، ما الهدف من هذا الحوار؟

إنّ عودة هايدجر إلى الموروث وإلى الفلسفة اليونانية "لاسيما إلى أفلاطون وأرسطو وحتى إلى ما قبل السقراطيين إلاّ دليلا عن انغراس ميتافيزيقا الذاتية أو ميتافيزيقا الحدائثة ضمن الفكر اليوناني المبكر" ¹ لذا لجأ هايدجر إلى كشف الثغرات التي تنطوي عليها الميتافيزيقا في سبيل "استنكار البدو واتخاذ القرار حول المستقبل" ²

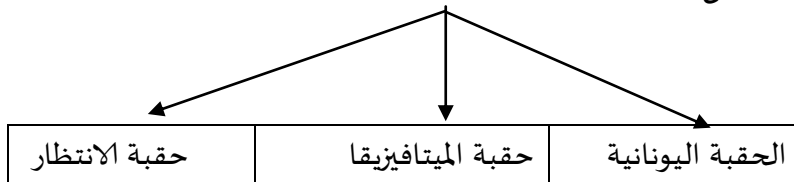
تكمن أهمية عودة هايدجر إلى الحوار مع تاريخ الفلسفة بدء من اللحظة الإغريقية لعدة اعتبارات أهمها :

« Tont philosophie s'abreuve à une source, la source pour

Heidegger fut la source greque » ³

فمجرد الحديث عن اليونان يحيلنا الأمر إلى بداية التأسيس للفلسفة اليونانية خاصة والغربية عامة ⁴ و عليه ف استنكار قاعدة الفكر الغربي يكمن في البدء الأول أو كما يسميه هايدجر البدء التدشيني، الفكر البدئي، الفكر الصبحي ⁵ من هنا أصل هايدجر للعلاقة التي يلزم أن تجمعنا بالفلسفة اليونانية . ويمكننا تقسيم محطات محاوره هايدجر للفكر الفلسفي لأجل إستشراق مستقبل جديد للفلسفة في ثلاثة مراحل :

مسائلته لـ:



1. الحقبة اليونانية:

إنّ وحدة الطريق التي سلكها هايدجر ظاهرة في علاقته بالإغريق أكثر منها في أي مكان آخر، فلقد لعبت الفلسفة الإغريقية دوراً أساسياً في الفكر الألماني منذ أيام المثالية الألمانية فيما يتعلق بالتاريخ والمشكلات التاريخية⁶

إنّ هايدجر يحن إلى الفكر الإغريقي ويمجده ذلك لاعتقاده أنّ "الفكر الإغريقي ككل شيئاً يتمتع بالإبداع الأصيل"⁷ وقد عبر لنا هايدجر في كتابه question 3 et 5: في الصفحة 58 عن الأهمية السجالية للفكر اليوناني ذلك لأنهم حسب تعبير هايدجر أهميتهم تكمن في أنهم قد انفتحوا على الحضور ومن جهة أخرى قد فكروا في الغياب ومثلما وجهوا نظرهم صوب الاشتهار فكذلك الاستتار بالمثل⁸ فالانسحاب والانحجاب خاصية من خصائص الوجود عند هايدجر وبذلك تكون الحقبة اليونانية هي "حقبة بدء الكينونة على التحقيق، وهي حقيقة صبحية تعد فجر سير الكينونة إلى مصيرها بتلقاء ذاتها"⁹.

إذا: الإنسان الإغريقي من منظور هايدجر كان "متفتح على الحضور مما دفعه للتساؤل عن الحضور بما هو حضور"¹⁰ لذلك يسي هايدجر البدء الإغريقي بالبدء الأصيل، لكن عندما نقول البدء الإغريقي الأصيل فإننا لا نقصد هنا الفكر الذي يمثله أفلاطون وسقراط إنما نتحدث عن الفكر الما قبل سقراطية "فالبدء الحقيقي حدث مع أوائل مفكري اليونان: من أمثال انكسمندر، وبارمنيدس (ق 6 و 5 ق م) وهيراقليطس (ق 6 و 5 ق م)"¹¹، أما عندما نتحدث عن أفلاطون وسقراط فإننا نتحدث عن بداية لحظة الانحطاط والغرق في الميتافيزيقا بمعنى حقبة "نسيان الكينونة".

2. حقبة الميتافيزيقا:

يقول هايدجر في كتابه " الوجود و الزمن " الفقرة 6 ص 36 " إن تقويض تاريخ الأنطولوجية مهمة تتطلب الإنجاز " و يكون المقصود بكلمة :

من خلال هذه الفقرة و خلال السياق الهايدجري ككل إحداث قطيعة مع Destruction ماضي الفلسفة و تفكيك التراث الفلسفي السائد حتى نيتشه ذلك التراث الذي يغرق في نسيان الوجود " ¹² من حيثيات هذا النص نفهم أن هايدجر يرغب في تقويض الميتافيزيقا التي كانت نقطة بدايتها من سقراط إلى نيتشه و هنا نود أن نفتح قوس للإشارة إلى نقطة مهمة جدا بخصوص مسائلة الفكر الهايدجري للفكر النيتشوي ، فالحوار مع نيتشه يعتبر بمثابة قفزة إلى بدء آخر لأنه عبارة عن حوار عبور و هذا ما يوضحه هايدجر بقوله :

Qu'il devait de devenir un passage précaire qu montre vers l'avant et ver l'arriere » ¹³

فلسفة نيتشه بالنسبة لهايدجر " تمثل اكتمال الميتافيزيقا فهي تقود الميتافيزيقا إلى إمكانياتها القصوى لذا سيعمل هايدجر على إعادة التفكير في فلسفة نيتشه بإدراجها في سياق الميتافيزيقا الحديثة و بالتالي الميتافيزيقا الغربية برمتها " ¹⁴.

وإذا كان هايدجر يؤكد أن المشروع النيتشوي لم يستطع تجاوز الميتافيزيقا رغم المحولات العديدة لنيتشه إلا أن الفكر النيتشوي ومن خلال فلسفته التي تعتبر تباشير نحو فلسفة المستقبل كمفهوم الفيلسوف الفنان المبدع الذي أبدعه للخروج من شرك الميتافيزيقا فنيتشه اعتمد الدرب الجمالي كحل للخروج من أزمة الميتافيزيقا، ومن بين الفلاسفة المعاصرين المؤكدين لهذا الطرح نجد الفيلسوف الفرنسي لوك فيري الذي يؤكد أن نيتشه خرج عن الميتافيزيقا لأنه فتح لنا طريق جديد في الفردانية فلأول مرة مع نيتشه نستطيع أن نربط التاريخ بالفردانية و يعبر لوك فيري عن هذا في كتابه الإنسان الجمالي بقوله " الجمالية النيتشوية لا تنخرط في ميتافيزيقا

الذاتية لأنها فتحت مجال جديد في الفردانية لم يكن موجود من قبل"¹⁵، والآن سنعاود الرجوع إلى سقراط وأفلاطون باعتبارهما الممثلين الأكبر للميتافيزيقا .

1 - سقراط : مع الخطاب السقراطي بدأ منهج التهكم و التوليد وبهذا حول سقراط الفلسفة للإجابة عن الماهية والجوهر حينما طرح ما المعرفة؟ ما الجمال ؟ ... وقد عبر هايدجر عن هذا في كتابه نداء الحقيقة بقوله "ألا يتوه بنا السؤال عن الماهية في فراغ التعقيم الذي يكتم على أنفاس الفكر... أليس السؤال عن الماهية أقل الأسئلة أهمية وأبعدها عن الالتزام"¹⁶

2 - أفلاطون: انطلاقا من أفلاطون أصبحت الكينونة تدرك بمعنى تمكين الكائن وتحقيقه بمعنى أنه قام بحفظ الكائن متناسيا ذلك الذي يمكنه¹⁷ ، فعهد الميتافيزيقا هو عهد تناسي الكينونة فمع أفلاطون بدأ عهد "تدشين أولوية الكائن.. الواقع، ما أسفر عنه هجر الكينونة للكائن وتخليها عنه"¹⁸ وقد عبر هايدجر عن بؤادر الميتافيزيقا المغروسة في الفكر الأفلاطوني في كتابه نيتشه 2 بقوله "مع التأويل الأفلاطوني للكينونة بما هي الفكرة أو المثال تبدأ الفلسفة بما هي ميتافيزيقا"¹⁹

وعليه فإن الفكر الأفلاطوني والسقراطي قد تناسى الكينونة فهيدجر يطلق كلمة ميتافيزيقا على جميع "المذاهب الفلسفية والتيارات الحاسمة والأخلاقية والحركات العلمية التي يمتد ظهورها من أنكسمندر حتى نيتشه والتي تشترك جمعا في خطيئة نسيان الكينونة"²⁰ وبهذا يكون عهد الميتافيزيقا هو ذلك العهد "الذي لم يحفظ العهد ولا هو صانه لماذا؟ لأنه رفض للكينونة الحق في الاستتار فأراد أن يحيلها كامل الإجلاء والإبداء ليبدع لها مختبئ ومستجارا فإذا به تنفلت منه ولا يظهر إلى الكائن"²¹

وتتواصل القراءة الهايدجيرية للمفاهيم اليونانية بصورة جذرية وتقف هنا على المعنى الذي اتخذته كلمة الحقيقة مع أفلاطون باعتبارها خاصية لصواب التفكير والحكم أو سمة القول الصائب فهذا التشريع أدى إلى إخفاء وتقنيع التجربة الأصيلة للمفكرين الإغريق الأوائل²² لذا يزعم هايدجر أن كلمة "Alétheia" تعني أو تفيد في التجربة الإغريقية اللاخفاء و في هذا السياق يبرر هايدجر كون المفكرين الإغريق الأوائل لم يفهموا كلمة الحقيقة كمرسم لتفكير وإنما سمة للكائن ذاته من حيث أنه يتبدى لهذا يزعم هايدجر أن الترجمة السليمة للحقيقة هي اللاخفاء. " إن كنه الحقيقة من حيث عنت الألتيا بقي أمر غير مفكره في الإغريق"²³، لذلك كانت مهمة الفلسفة في هذه الحقبة متمثلة في استقصاء الكينونة .

لذا حمل هايدجر نفسه على إنقاذ مثل هكذا فلسفة كاشفا لكل مظاهر الخطأ و التهمتان الدفينة فيها معلنا عن نهاية الميتافيزيقا فما المقصود بنهاية الميتافيزيقا ؟.

إنّ نهاية الميتافيزيقا لا يعني أنها لن تظهر مجددا فهي تبقى مثلا موجودة في الدين ، فمنهايتها يعني أنها استنفذت جميع إمكاناتها مما يدعونا للبحث عن بدء آخر جديد يخطوا منحى مغايرا للمنحى الذي جذرته الميتافيزيقا وهنا يتدخل هايدجر لإبداع درب جديد مغاير للبدء الأول ويتحدث عن:

3 – حقبة الانتظار: إنّ هذه الحقبة هي حقبة وضع الميتافيزيقا على طاولة النقاش والكشف عن اللا مفكر وعن اللا منطوق الذي كان دفيينا في ثنايا الفكر الميتافيزيقي فسيتم في هذه المرحلة :

- النظر في شأن نسيان الكينونة .

- الإفصاح عن اللا مفكر فيه والمنسي .

- استدعاء واستحضار الكينونة الغائبة عهد الميتافيزيقا .

" إنَّ حقبة الانتظار هي أولاً حقبة النظر في نسيان الكينونة . الميتافيزيقا .
ودفعها للإفصاح عن اللا مفكر فيه أو المنسي وإكراهها على استشعار
الحاجة إلى عودة الكينونة "24

وبناء على هذا جاء هايدجر بمفهوم التقويض الميتافيزيقي فما الذي يعنيه
هذا المفهوم؟.

التقويض لا يعني التحطيم والهدم وإنما التفكيك والتنحية أي معاودة
النظر في المفاهيم التقليدية الموروثة ونقدها كون هذه المفاهيم لم
تفصح عن معنى الكينونة وإنما غطتا²⁵ لذا فإن درب الفلسفة اليونانية
قد انتهى واستنفذ جميع إمكانيته لذا أبدع لنا هايدجر درب جديد في
سبيل الخروج من الميتافيزيقا متمثل في الدرب الجمالي نقصد الفن و
الشعر .

* باحثة في الفلسفة الألمانية ، جامعة وهران

المراجع :

- 1- محمد محبوب ، هايدجر و مشكل الميتافيزيقا، دار الجنوب للنشر تونس، 1995، د ط ، ص 107 .
- 2- الشيخ محمد ، نقد الحدائث في فكر هايدجر ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، ط 1 ، 2008 ص 644

- 3 - vergely, Bertrand , Heidegger ou l'exigence de la pensée , les essentiels milan , Gallimard , 1997 , p 10.
- 4- هايدجر مارتن ، ما الفلسفة ما الميتافيزيقا هيلدريين و ماهية الشعر ، تر : فؤاد كامل و محمد رجب ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة ط 2 ، 1974 ، ص 40
- 5 - الشيخ محمد، نقد الحدائفة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 322
6. - غدامير هانس جورج ، طرق هايدجر ، تر : حسن ناظم ، علي حاكم صالح ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2007 ، ص 296 .
- 7- المرجع نفسه ، ص 301
- 8-voi : Heidegger martin, Question 3 et 5 , trad : par jean Beaufret , édition : Gallimard , paris 1990 , p 58.
- 9 - محمد الشيخ ، نقد الحدائفة في فكر هايدجر ، مرجع سابق ، ص 247 .
- 10-voi : Heidegger martin, Question 3 et 5 , op . cit . p 120.
- 11 - الشيخ محمد ، نقد الحدائفة في فكر هايدجر ، مرجع سابق ، ص 259 .
- 12 - نقلا عن : الداوي عبد الرزاق ، موت الإنسان في الفكر الغربي ، مرجع سابق ، ص 43
- 13 - Heidegger martin, Question 3 et 5 , op . cit , p 112 .
- 14 - هايدجر مارتن ، كتابات أساسية ، الجزء الثاني ، تر : إسمايل مصدق ، المجلس الأعلى للثقافة ، ط 1 ، 2003 ، ص 99 .
- 15-Ferry luc , Home asthrticuse , édition grasset paris , 1990 , p 220. 221.
- 16 - هايدجر مارتن، نداء الحقيقة، تر : عبد الغفار المكاوي ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة، 1977، ص 249 .
- 17-Heidegger martin, Nietzsche 2 , trad : par pierre kolossouski ,bibliothèque de philosophe ; édition : Gallimard , paris ,1989 , 1990 , p 182 .
- 18 -الشيخ محمد ، نقد الحدائفة في فكر هايدجر ، مرجع سابق ، ص 247 .
- 19-Heidegger martin, Nietzsche 2 , op cit , 180 .
- 20- الداوي عبد الرزاق ، موت الإنسان في الفكر الغربي، مرجع سابق، ص 45
- 21-الشيخ محمد، نقد الحدائفة في فكر هايدجر، مرجع سابق، ص 263
22. - هايدجر مارتن ، كتابات أساسية ، الجزء 2 ، ص 92 .
- 23-Heidegger martine , chemins qu' ne mènent nulle part , trad : par Wolfgang brokmeier , édition Gallimard , paris , 1962 , p 55 .
- 24 - المرجع السابق ، ص 247 .
- 25 - هايدجر مارتن ، الكينونة و الزمان ، تر : فتنحي لمسكينني ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2012 ، ص 80